

تفسير البحر المحيط

@ 49 @ الشيء المأخوذ بل الذنب الذي استحقا به أن يكونا من الأئمين الذي تبرأ أن يكونا منهم في قولهما { اللّٰهُمَّ إِنِّي نَسَا إِذًا لِّسَمِّنَ الْأَثْمِينَ } ولو كان الإثم هو الشيء المأخوذ ما قيل فيه استحقا إثمًا لأنهما ظلما وتعدّيا وذلك هو الموجب للإثم . . { فَآخِرَانِ يَرْقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ }
الأول { قرأ الحرميان والعربيان والكسائي { اسْتَحَقَّ } مبنياً للفاعل { * والأوليان } مثنى مرفوع ثنية الأولى ورويت هذه القراءة عن أبي وعليّ وابن عباس وعن ابن كثير في رواية قره عنه ، وقرأ حمزة وأبو بكر { الَّذِينَ اسْتَحَقَّ } مبنياً للمفعول { * والأوليان } جمع الأول ، وقرأ الحسن { الَّذِينَ اسْتَحَقَّ } مبنياً للفاعل الأولان مرفوع ثنية أول ، وقرأ ابن سيرين الأوليين ثنية الأولى فأما القراءة الأولى فقال الزمخشري { فَآخِرَانِ } فشهدان آخران { يَرْقُومَانُ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ } عليهم أي من الذين استحق عليهم الإثم ، ومعناه وهم الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعترته ، وفي قصة بدليل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلين من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهدتهما أحق من شهدتهما ، { * والأوليان } الأحقان بالشهادة لقرايتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما لأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل { عَلَيْهِمُ } الأول { ولديان } ، وقيل هما بدل من الضمير في { يَرْقُومَانُ } أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أي من الذين استحق عليهم ابتدأت الأوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال انتهى . وقد سبقه أبو عليّ إلى أن تخريج رفع { الأول { ولديان } على تقديرهما لأوليان ، وعلى البدل من ضمير { يَرْقُومَانُ } وزاد أبو عليّ وجهين آخرين ، أحدهما أن يكون { الأول { ولديان } مبتدأ ومؤخرًا ، والخبر آخران يقومان مقامهما . كأنه في التقدير فالأوليان بأمر الميت آخران يقومان فيجئ الكلام كقولهم تميمي أنا والوجه الآخر أن يكون { الأول { ولديان } مسنداً إليه { اسْتَحَقَّ } . قال أبو عليّ فيه شيء آخر وهو أن يكون { الأول { ولديان } صفة لآخران لأنه لما وصف خصم فوصف من أجل الاختصاص الذي صار له انتهى . وهذا الوجه ضعيف لاستلزامه هدم ما كادوا أن يجمعوا عليه من أن النكرة لا توصف بالمعرفة ولا العكس وعلى ما جوّزه أبو الحسن يكون إعراب قوله : { فَآخِرَانِ } مبتدأ والخبر { يَرْقُومَانُ } ويكون قد وصف بقوله من الذين أو يكون قد وصف بقوله { يَرْقُومَانُ } والخبر { مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ } ولا يضر الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر أو يكونان صفتين لقوله : { فَآخِرَانِ } ويرتفع آخران على خبر مبتدأ محذوف أي فالشاهدان آخران ويجوز عند بعضهم أن

يرتفع على الفاعل ، أي فليشهد آخران وأما مفعول { اسْتَدْحَقَّ } فتقدم تقدير الزمخشري أنه استحق عليهم الإثم ، ويعني أنه ضمير عائد على الإثم لأن الإثم محذوف ، لأنه لا يجوز حذف المفعول الذي لم يسم فاعله وقد سبقه أبو عليّ والحوفي إلى هذا التقدير وأجازوا وجهين آخرين أحدهما : أن كون التقدير استحق عليهم الإيضاء ، والثاني : أن يكون من الذين استحق عليهم الوصية وأما ما ذكره الزمخشري من ارتفاع قوله { الاَوْ لَيَّانِ } باستحق فقد أجازه أبو علي كما تقدم ثم منعه قال لأن المستحق إنما يكون الوصية أو شيئاً منها . وأما { الاَوْ لَيَّانِ } بالميت فلا يجوز أن يستحقا فيسند { اسْتَدْحَقَّ } إليهما إلا أن الزمخشري إنما رفع قوله الأوليان باستحق على تقدير حذف مضاف ناب عنه { الاَوْ لَيَّانِ } ، فقدره استحق عليهم انتداب الأولين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال فيسوغ توجيهه ، وأجاز ذلك ابن جرير على أن يكون التقدير من الذين استحق عليهم إثم الأولين ، وأجاز ابن عطية أيضاً أن يرتفع { الاَوْ لَيَّانِ } باستحق وطول في تقرير ذلك وملخصه أنه حمل استحق هنا على الاستعارة بأنه ليس استحقاقاً حقيقة لقوله { اسْتَدْحَقَّ } إِثْمًا } وإنما معناه أنهم غلبوا على المال بحكم انفراد هذا الميت وعدمه لقرابته أو لأهل دينه فجعل تسورهم عليه استحقاقاً مجازاً والمعنى من